بحث تاريخي

أديرة وكنائس أخميم الأثرية
(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الآثار والفنون القبطية
ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

مدينة أخميم:

هي واحدة من أقدم وأهم المدن المصرية التابعة لمحافظة سوهاج، والتي عُرِفَت بأسماء عدَّة في اللغات المصرية القديمة واليونانية والقبطية. وقد أشار إليها كثيرٌ من المؤرِّخين والجغرافيين والأثريين والرحَّالة. وتوجد بها بقايا آثار مصرية قديمة ويونانية رومانية كثيرة. وبعد انتشار المسيحية فيها، ازداد عدد الأديرة والكنائس القبطية المُشيَّدة بها. وعُرِفَت باسم: "مدينة الشهداء" لكثرة الشهداء الأقباط الذين استُشهِدوا فيها، نتيجة للاضطهاد والتعذيب على أيدي الأباطرة الرومان الذين حكموا مصر. وقد انتشرت معجزات أولئك الشهداء في ربوع هذه المدينة الباسلة على مَرِّ الفترات التاريخية المختلفة. ومن أهم أديرة أخميم الأثرية، نُشير إلى:

١- دير الشهداء بأخميم:

شُيِّد هذا الدير على بُعْد ٢ كم شمال دير العذراء، وفي الجنوب من دير الملاك بالسلاموني بحوالي واحد كيلومترًا في أقصى شرق أخميم في محافظة سوهاج. وهو الدير الرئيسي في صحراء أخميم، ويأتي من بعده دير الملاك، وكذلك دير السيدة العذراء. كما أنه واحدٌ من أهم أديرة أخميم الممتدَّة من الجنوب إلى الشمال. ويوجد مدخل خاص يؤدِّي إلى الدير من الطريق الخلفي. ويُعتَقَد أنَّ شهداء أخميم قد دُفِنوا في هذا الدير كما هو الحال بالنسبة لشهداء إسنا. ويُعتَقَد أيضًا أنَّ في هذه المنطقة قد استُشهِد ما يقرب من ٨٨٨٠ شهيدًا في ظلِّ حُكْم الأباطرة الرومان. ويرى البعض أنَّ عدد شهداء أخميم هو ٨١٤٠ شهيدًا استُشهِدوا جميعًا يوم عيد الميلاد المجيد في أيام ٢٨ و٢٩ و٣٠ كيهك سنة ٣٠٤م.

وقد ذهب أريانوس والي أنصنا (وهي حاليًّا قرية الشيخ عبادة في محافظة المنيا) إلى

أخميم. ولم يهتم أحدٌ باستقباله، فغضب وأمر بقتل جميع المسيحيين المتواجدين داخل الكنيسة وفي محيطها الخارجي. ودُفِنَ شهداء هذه المذابح أولًا ثم شُيِّدت لهم كنيسة. وقد توافَد الأقباط كعادتهم في أخميم على كنيسة الدير للاحتفال بعيد الشهداء. وقد دخل الأب بطرس رئيس هذا الدير ومعه عددٌ كبير من المسيحيين، وزيَّنوا الكنيسة المقدَّسة وكرَّسوها على اسم الـ ٨١٤٠ شهيدًا الذين نالوا أكاليل الشهادة في أخميم.

وعُرِف عن شهداء أخميم كثيرٌ من المعجزات التي جعلت عدد المُتردِّدين على الدير يتزايد يومًا بعد يوم. ومن أهم شهداء أخميم، نُشير إلى: الأنبا بسادة أسقف أبصاي - القديس مينا الراهب - الشهيد أفرام - الشهيدان ديسقوروس وإسكلابيوس - الراهبة فبرونيا - القديسان أولوجيوس وأرسانيوس.

وتقع الكنيسة الكبيرة في دير الشهداء بأخميم مُلاصقة لسور الدير من الناحية الشرقية. ويوجد بها ثلاثة هياكل، والهيكل الأوسط منها نصف دائري وبه حنيات صغيرة. وينقسم خورس الكنيسة إلى قسمين من خلال فتحة في المنتصف. وهو مُغطًّى بالقباب المُنخفضة، وكذلك قبوات من الطوب اللَّبْن كما هو الحال في دير الملاك. وعُثِر حول دير الشهداء بأخميم على كثيرٍ من المدافن الأثرية اكتُشِفَ بها نماذج متنوعة وبديعة من المنسوجات القبطية المحفوظة حاليًّا في كثيرٍ من المتاحف الأثرية العالمية. وبالكنيسة خمسة هياكل من القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديَّيْن مثل:

١- هيكل رئيس الملائكة ميخائيل.
٢- هيكل القديسَيْن ديسقوروس وإسكلابيوس.
٣- هيكل السيدة القديسة مريم العذراء.
٤- هيكل مار جرجس.
٥- هيكل مار مرقس والأنبا أنطونيوس.

ولكلٍّ من هذه الهياكل بابان: أحدهما للدخول، والآخر للخروج. كما توجد نافذة لمُراقبة مَن يدخل الكنيسة من الأعداء. وتعلو هذه النافذة بعض الأيقونات الأثرية. وكان بالدير مائدة أثرية وقلالي وحصن على غرار ما هو مألوفٌ في أديرة قبطية أُخرى. ويُعَدُّ هيكل القدِّيسَيْن ديسقوروس وإسكلابيوس من الهياكل القديمة التي شيَّدتها الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين الأول على غرار ما هو موجودٌ في دير الشهداء بإسنا.

أمَّا باقي الهياكل، فهي تقليدية الشكل والطراز. وتتكوَّن الكنيسة من خورسين وليس ثلاثة كما هو معتادٌ بالكنائس القبطية ولا يوجد بها مقاعد. وفي الناحية الشمالية من الخورس الأول، وُضِعَت رفات القدِّيسَيْن ديسقوروس وإسكلابيوس، ورأس شهيدة محفوظة بداخل مقصورة زجاجية. وقد قام البابا شنودة الثالث بتدشين هذه الكنيسة. وفي ١١ سبتمبر / أول توت من كلِّ سنة، يتمُّ تطييب أجساد القديسين الشهداء في دير أخميم بالحنوط في حضرة الآباء الرهبان والكهنة وزوَّار الدير.

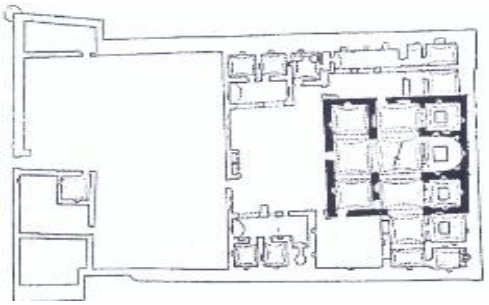

التخطيط العام لدير الشهداء شرق أخميم. نقلًا عن الأنبا صمويل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٥؛ *"تاريخ أقباط مصر"*.

٢- دير القديس الأنبا شنودة الشرقي شمال أخميم:

يقع دير القديس الأنبا شنودة الشرقي على بُعد كيلومترًا واحدًا شمال قرية عربان بني واصل، وعلى بُعْد أربعة كيلومترات في الناحية الشمالية من دير القديس الأنبا توماس السائح. كما أنه يبعد حوالي عشرين كيلومترًا في الاتجاه إلى شمال مدينة أخميم[١]. وتشتمل كنيسة الدير المؤرَّخة من القرن السادس عشر الميلادي – السابع عشر الميلادي على ثلاثة هياكل، تخطيطها نصف دائري وتكتنفها جميعًا حجرتان جانبيتان. ويُحيط بكلِّ هذه الهياكل الشرقية ممرٌّ خلفي يُسمَّى: "الضفير". وبالصحن أربعة أعمدة دائرية ترتكز عليها قباب منخفضة باستثناء القبة التي تعلو الهيكل الرئيسي الأوسط. وترتكز هذه القبة أيضًا على حنيات في أركانها. وعلى جدران الكنيسة الداخلية مجموعة من الأيقونات الهامة تتنوَّع موضوعاتها الزخرفية. كما عُثِرَ في هذا الدير على مخطوطات هامة تُزيِّنها عناصر زخرفية مختلفة. وفي الناحية الشمالية من الدير، توجد كنيسة أخرى أصغر حجمًا

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨١-١٨٢.

وبداخلها صحنٌ صغير وهيكلان.

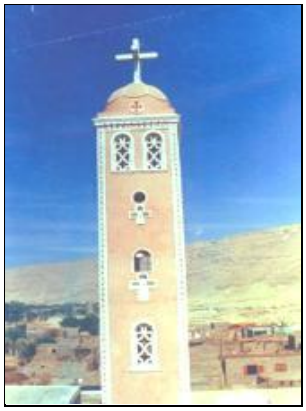

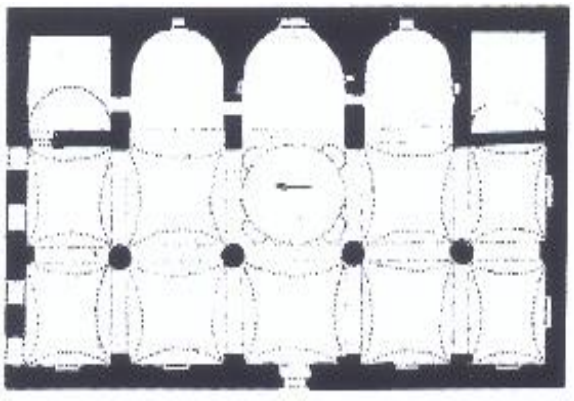

التخطيط العام وبرج الجرس في دير القديس الأنبا شنودة الشرقي بأخميم. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٠؛ *"تاريخ أقباط مصر"*.

(يتبع)

****

(بقية المنشور صفحة ٣٨ – "الحياة الليتورجية ٤")

في الكنيسة ومبناها:

+ كنيسة القدِّيسَيْن سرجيوس وواخس هما أقدم كنيسة بحصن بابليون بمصر القديمة، وبها أقدم مذبح خشبي معروف بمصر.

+ أصبحت المنجليَّة هي البديل العملي والأسهل للأنبُل.

+ وُجدت المعموديَّات داخل الكنائس، وليست كمبنى مُنعزل عن الكنيسة، وذلك بعد أن تمكَّن المسيحيُّون من بناء الكنائس، بعد انقضاء زمان الاضطهاد.

+ لم يكن في الكنيسة القبطيَّة حتى القرن الخامس الميلادي أجراس تدقُّ للدعوة للعبادة. وإن كانت الكنيسة القبطيَّة تُعتَبَر من أقدم الكنائس في استخدام الأجراس.

+ ارتقى فنُّ رَسْم الأيقونات رُقيًّا رفيعًا عند الأقباط، ولا سيَّما النقوش البارزة على الخشب. وهناك صُوَر جداريَّة عُثر عليها في باويط وسقَّارة، تتميَّز بتنوُّع وغزارة موضوعاتها، وامتزاج التَّقاليد الشرقيَّة بالهللينستيَّة.

(يتبع)